حشرة الفيلوكسيرا وسياسة غراسة أشجار الكروم الفرنسية في الجزائر أيام الحكم المدني

من إعـــــــــــــداد

أ.د: نوي بن مبروك

جامعة عباس لغرور خنشله

المقدمة

إن تاريخ الجزائر في مراحله مليء بأحداث والتطورات ، فهو شاهد على تلك الحروب ومحاولات غزو السواحل الجزائر وقد ختمت هذه التغيرات بالإحتلال الفرنسي الذي دام اكثر من قرن وهو جاثم على أرض الجزائر يحمل أفكارا وتوجهات في شتى الميادين والمجالات .

من أهمها والتعلقة بدراستنا في هذه الورقة البحثية السياسة الإقتصادية التي كانت من السياسات الأساسية في نهج الإحتلال الأوروبي الذى نادى بالإستيطان ومصادرة اراضي الجزائريين وأصدر الاوامر الملكيو لإلحاق الجزائر إقتصاديا بفرنسا وجعلها حسب معتقده انها جزء لا يتجزا منها .

ومن اهم المواضيع التي شغلتنا وجعلناها محط هذه الورقة البحثية غرس اشجار الكروم على حساب مثيلاتها من عنب المائدة الذي كانت له شهرة في شمال افريقيا ، فتحركت الإدارة الفرنسية طبقا لتوجيهات المخابر الفلاحية التي دقت ناقوس الخطر متخوفة من هذه الحشرة الغريبة حشرة الفيلوكسيرا والهلاك الذي الحقته بمنتوج العنب في فرنسا .

الا ان السؤال المطروح لماذا الإدارة الفرنسية لم تهتم بغرس الأشجار المنتجة لعنب المائدة او العنب الأبيض ، فالسؤال اجابت عليه ما أخفته إهتمامات الفرنسيين المتسارعة بالعنب الأسود من صناعة الخمور وتوسيع غرس هذه الأشجار على حساب الاراضي المنتجة للحبوب واراضي الرعي ، فكانت هجرة الاهالي من ارضيهم الفلاحية وحاولت فرنسا بهذا المنتوج الذي يتنافى مع ديننا خلق مجتمع مخمر .

1. التعريف بإتساع دائرة وجود حشرة الفيلوكسيرا في فرنسا

الفيلوكسيرا حشرة من نوع المنّ تهاجم جذور الكرمة. ولم تكن معروفة في فرنسا حتى عام 1868، لكنها تسببت بعد هذا التاريخ في أضرار فادحة في مزارع الكروم، وخفّضت خلال بضع سنوات إنتاج فرنسا من النبيذ إلى النصف أو الثلث من قيمته السنوية المعتادة. وقد استمر هذا الانهيار خمسة عشر عامًا، وأدى إلى أزمة اقتصادية كبرى في جنوب فرنسا. كما تعرّض جيراننا الإيطاليون والإسبان لضرر شديد أيضًا. [1]

لم يسبق للزراعة الفرنسية أن شهدت كارثة مماثلة في أي مجال من مجالات الإنتاج الزراعي! ولهذا وحده تستحق قضية الفيلوكسيرا اهتمامًا كبيرًا. لكن هناك ما هو أهم: فالتعرّف الأول على الطفيلي، وإعداد وسائل فعّالة لمكافحته، وتطبيقها على نطاق واسع هي اكتشافات ذات أهمية دولية، وكان أصحابها في معظمهم من أبناء إقليم إيرو .(Hérault) [2] إن مساهمة علماء هذا الإقليم كبيرة إلى حدّ يجعل من المستحيل تناولها بشكل شامل في مداخلة واحدة. واليوم سنقتصر في حديثنا على اكتشاف الفيلوكسيرا وعلى السنوات الأولى من الأزمة الفيلوكسيرية. أما الأحداث اللاحقة فسيُشار إليها فقط بقدر ما تُسلّط الضوء على السنوات السوداء لبداية اجتياح الحشرة. [3]

---

[1] – بيان محمد زاهر ، علا توفيق الحلبي : **توثيق شجيرات اصل الكرمه (R u 140) ،المقاوم لحشرة الفيلوكسيرا في مشاتل وزارة الزراعه ، بإستخدام المؤشرات الجزئية** ، مجلة دمشق للعلوم الزراعية ، مج ،33 ، ع ، 01، 20017،ص، 177.

[2] – **إيرو)** بالفرنسية(L'hérault : :ويُلفظ **ليرو** عند التعريف، هو إقليم فرنسي تابع لمنطقة لانكدوك – روسيون . أنظر : https://ar.wikipedia-on-ipfs.org/wiki. يوم 22\11\2025، سا 13.33

[3] – Jean-Paul Legros : **L'Invasion du vignoble par le Phylloxéra** , ACADEMIE DES SCIENCES ET LETTRES DE MONTPELLIER , Séance du 14/06/1993 Conférence n°2102, Bull. n°24 , 1993,p, 02 .

تبدأ القصة عام 1863 في جامعة أكسفورد. إذ تلقّى البروفيسور **ج. أو. ويستوود، J.O. Westwood** [1]وهو عالم حشرات، من أحد مراسليه المقيمين في ضواحي لندن أوراقَ كرمة مغطّاة بانتفاخات فارغة. فقام بفتح تلك الأكِيَاس الصغيرة الموجودة تحت الأوراق، ووجد بداخلها نوعًا من حشرات المنّ. غير أنّ الحشرات غير الموصوفة كانت كثيرة، وهذا النوع لم يبدُو ذا أهمية خاصة. دوّن البروفيسور بعض الملاحظات، لكنه لم يرَ ضرورة لنشرها، فطواها ووضعها في أحد الأدراج. [2]

2. فرنسا من وراء ادخال اشجار الكروم المنتجة للعنب الأسود

كان بيير بارتو،Pierre Berthault وهو مهندس زراعي في مديرية الزراعة والاستعمار، يؤكّد في كتابه بعض جوانب المشكلة الكرومية في الجزائر الصادر سنة 1933 أنّه «باعتبارها زراعة استعمارية بالأساس، فإن الكرمة تشدّ الإنسان إلى الأرض وتطوّر التجمّعات السكانية. ويكفي، للاقتناع بذلك، النظر إلى الوضع المتقابل لقرى الساحل والمتيجة ومناطق الحبوب في الهضاب العليا؛ فبينما تنعم الأولى بالرخاء ويسكن أهلها بيوتًا مزدهرة، تتعرّض الثانية للتراجع السكاني وترى منازلها تنهار وتتحوّل إلى خراب[3].

من خلال هذه الاقتباس، نجد تصورًا كان شائعًا إلى حد كبير بين المستوطنين الفرنسيين في بداية القرن العشرين، مفاده أن زراعة الكرمة في الجزائر تمتلك فوائد اقتصادية واستعمارية على حد سواء. من الناحية الاقتصادية، أصبحت الجزائر تحت السيطرة الفرنسية رابع أكبر منتج للنبيذ في العالم، وارتقت إلى المرتبة الأولى بين الدول المصدّرة للنبيذ على الصعيد العالمي. وفي بداية القرن العشرين، كان النبيذ يمثل نصف صادرات الجزائر وثلث ناتجها المحلي الإجمالي. وبالتوازي مع هذا النجاح الاقتصادي، شجّعت صناعة

---

[1] – جون أوبداياه ويستوود (22 ديسمبر 1805 – 2 يناير 1893) كان عالم حشرات وعالِم آثار إنجليزيًا مشهورًا بموهبته الفنية. نشر عدّة أعمال مصوّرة عن الحشرات والآثار. وكان من أوائل علماء الحشرات الذين شغلوا منصبًا أكاديميًا في جامعة أكسفورد. كان من أنصار علم اللاهوت الطبيعي، ومعارضًا قويًا لداروين، وأحيانًا يتبنّى وجهة النظر الخماسية (Quinarian).وعلى الرغم من أنه لم يسافر كثيرًا، فقد وصف أنواعًا من مختلف أنحاء العالم اعتمادًا على العينات، خاصة الأنواع الكبيرة والغريبة وذات الألوان الزاهية التي جمعها علماء الطبيعة والهواة في إنجلترا. انظر ، https://www.google.com/search?q=Professeur+J.+O.+Westwood&sca يوم 2025\11\22 سا : 13.47.

[2] - De LAMOTTE D.E : **Monographie du Phylloxera vastatrix de la maladie phylloxique de la vigne**. Ad. JOURDAN Éditeur. 1885 p 268.

[3]– G. Valière : **L'Algérie avant et pendant la crise, Conférence à la session** interdépartementale des Chambres d'Agriculture d'Algérie, 18-19 février 1938.

النبيذ في الجزائر أيضًا على استقرار مستوطنين جدد في البلاد، وساهمت في «تحويل الأرض لصورة المستعمرين[1].

3. إنعكاسات غرس أشجار الكروم على الجزائر والجزائريين

- **الاقتصادية**

أصبحت الكرمة، التي تحوّلت إلى رمز للاستعمار الفرنسي، أيضًا عاملاً مسرّعًا لعملية الاستقلال. فبعد أن رسّخت عملية الاستعمار، أصبحت إنتاجية النبيذ في الجزائر كبيرة جدًا اقتصاديًا بحيث لم تعد مفيدة لفرنسا بسبب المنافسة التي كانت تمثلها لمزارعي الجنوب الفرنسي. علاوة على ذلك، ومن خلال التفاوتات الاجتماعية والمكانية التي عززتها، أدّت صناعة النبيذ أيضًا إلى فقر شديد بين العمّال الزراعيين الذين انقلبوا ضد هذا التنظيم الاجتماعي. ومن ثم، يهاجم البطل المستقلّ في قصة آخر [2].

إذا كانت الجزائر الفرنسية بلا شك مستعمرة فرنسية، فإنها مع ذلك كانت تتمتع بوضع قانوني خاص. فقد أعلنت الجمهورية الثانية عام 1847 أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، من خلال تقسيمها إلى ثلاث مقاطعات (وهران، الجزائر، وقسنطينة). ولاحقًا، أكدت الجمهورية الثالثة عزمها على دمج الجزائر الفرنسية مع الوطن الأم. وخلال أولى الانتفاضات الوطنية عام 1954،[3] أكّد وزير الداخلية فرانسوا ميتران أمام البرلمان أنّ «الجزائر هي فرنسا». ومع ذلك، يجب ملاحظة أن الجزائر الفرنسية ظلت دائمًا إقليمًا متميزًا. فقد كان يُدَار البلد بواسطة محافظ عام (ثم وزير مقيم بعد عام 1956)، وامتلكت بنكًا مركزيًا خاصًا يصدر عملته الخاصة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الجزائريين الأصليين، رغم امتلاكهم الجنسية الفرنسية، لم يكونوا مواطنين كاملين، وكانوا يخضعون للوضع القانوني للأهالي في الجزائر لعام 1865. [4]

---

[1] – **تندراري عبد الرحمن ، كريم ولد النبية : بوادر أزمة زراعة الكروم و علاقتها بفشل المشروع الاستعماري في عمالة وهران (1851 -1914)** االمجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية ، مج ، 03 العدد – 06 ديسمبر 2017 ، 69.

[2] – الجيلالي صاري: : **تجريد الفلاحين من أراضيهم 1830 م 1962 م**، ، ط خ، تر، قندوز عبادة فوزية ، منشورات المركز ، الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اوّل نوفمبر 2010. ، ص121 .

[3] – عبد العزيز شهبي:**الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر،2007، ص 37.

[4] – سباعي سيدي عبد القادر ، برشان محمد : **الجزائريون بين الصفة والمواطنة الفرنسية قراءة في مرسوم التجنيس 1865**، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية ، مج ،4 ، ع، 8، 2018، ص، 143.

إنتشار صناعة الخمور الفرنسية في الجزائر

الانتاج قبل 1860

لم تظهر صناعة النبيذ في الجزائر مع الاستعمار الفرنسي فقط. ففي الألفية الأولى قبل الميلاد، كانت صناعة النبيذ منتشرة على نطاق واسع في الجزائر، لا سيما بفضل الفينيقيين والقرطاجيين، لكنها تراجعت لاحقًا. وفي القرن السابع، سرّعت الفتوحات العربية الإسلامية للمنطقة من تراجع إنتاج النبيذ، نظرًا لأن القرآن يحرم تناول الكحول، لكن جزءًا من الكروم حافظ عليه من أجل استهلاك العنب، أو لإنتاج النبيذ بالنسبة للأقليات الدينية. وبصياغة فرنان بروديل في كتابه الحضارة المادية والاقتصاد والرأسمالية، يتبيّن أن النبيذ كان «مسافرًا سريًا لا يكل» في العالم الإسلامي[1] .

عندما وصل الفرنسيون إلى البلاد في عام 1830، كانت صناعة النبيذ تمثّل مساحة تبلغ 2000 هكتار فقط، وكانت في الغالب ملكًا للتجار المحليين أو المسؤولين الأتراك. ومع ذلك، كان الجنود الاستعماريون وأوائل المستوطنين الفرنسيين يستهلكون النبيذ، نظرًا لأنه كان يُعتبر أكثر المشروبات أمانًا، بل وكان يُنظر إليه أحيانًا كعلاج لبعض الأمراض مثل الكوليرا. ورغم ذلك، لم تحقق المحاولات الأولى لزراعة الكرمة في الجزائر نجاحًا كبيرًا، واضطر المستوطنون لاستيراد النبيذ من فرنسا لاستهلاكهم الشخصي[2].

علاوة على ذلك خلال السنوات الأولى للجزائر الفرنسية، كان «التمسك بنظرية الـ "عقد الاستعمار"، التي كان مونتسكيو يقدرها، والتي تفيد بأن المستعمرات تُنشأ لتوفير مواد غذائية مكملة للوطن الأم، يعرقل مشاريع زراعة الكرمة». فالإنتاج الكبير للنبيذ في فرنسا، الذي بلغ في المتوسط 55 مليون هكتولتر سنويًا بين 1865 و1875، لم يشجع على زراعة الكروم في الجزائر.[3] ولهذا السبب، فضّل المستوطنون الأوائل زراعة الحبوب، والتبغ، والكتان، والقطن بشكل رئيسي في بداية الاستعمار الفرنسي للبلاد، مع تبني «سردية تراجعية» تنتقد الزراعة والرعي التقليدي للسكان المحليين. وتُجسّد هذه الرؤية لعقد الاستعمار

---

[1] – Guillaume Garner : **Fernand Braudel : Civilisation matérielle, Economie et Capitalisme trente ans après**, Journée d'études, Leipzig, Revue de l'IFHA, 2 | 2010, p, 94

[2] – Marcel Larnaude : **La vigne en Algérie ,** Annales de géographie Année 1948 308 , p, 357 .

[3] – Jean-Christophe Foix : **Montesquieu et la conquête ,** Revue Juridique de l'Ouest Année 2012 , 2 , p, 235 .

شخصية الجنرال بوجو، الحاكم العام للجزائر بين 1840 و1847، الذي كتب في عام 1845 أن إنتاج النبيذ يجب أن يكون «ممنوعًا فورًا في الجزائر»، دون أن يُطبّق مثل هذا القرار فعليًا. [1]

حالة إنتاج النبيذ بين عامي 1900 و1931

رغم اتخاذ إجراءات صارمة لمنع حشرة الفيلوكسيرا من عبور البحر الأبيض المتوسط، تم اكتشاف أول يرقات لهذه الحشرة في الجزائر عام 1885. ولم تؤدّ قدوم هذه الطفيليات إلى انخفاض الإنتاج بنفس الحجم الذي شهدته فرنسا؛ فبعد انخفاض الإنتاج إلى 5 ملايين هكتولتر عام 1922، ارتفع مرة أخرى إلى 10 ملايين هكتولتر عام 1925، ثم إلى 20 مليون هكتولتر عام 1935. [2]

يمكن تفسير هذا المسار بعدة عوامل متميزة. أولًا، استطاع مزارعو الكروم الأورو–جزائريون الاستفادة من الخبرة الفرنسية في مكافحة الفيلوكسيرا، وفضلوا حل التطعيم بدل زراعة أصناف هجينة، مما سمح باستعادة مستوى إنتاجية مرتفع بسرعة. علاوة على ذلك، شجّع انخفاض أسعار الحبوب في بداية القرن العشرين المزيد من المستوطنين على زراعة الكروم، باعتبارها إنتاجًا «يوفر الأمان والاستقرار». وقد تجسّد ذلك في توسّع مساحة كروم الجزائر من 175,000 هكتار عام 1925 إلى 400,000 هكتار عام 1935. وأخيرًا، ساهم استخدام أصناف أكثر إنتاجية، والاقتصاديات الحجمية التي أتاحت لها المساحات الزراعية الأكبر مقارنة بالفرنسا، في أن تكون إنتاجية كروم الجزائر أعلى بنسبة 25 إلى 40٪ من إنتاجية كروم فرنسا بين عامي 1900 و1930 . [3]

بالتوازي استعاد إنتاج كروم بفرنسا في عام 1900 مستواه قبل أزمة الفيلوكسيرا ليصل إلى 65 مليون هكتولتر. وقد انعكس ذلك بشكل خاص في انخفاض حاد بأسعار النبيذ التي تراجعت بأكثر من 60٪ بين 1880 و1905. ومع ذلك، سمح انخفاض الإنتاج في الجزائر خلال عشرينيات القرن التاسع

---

[1] – بن عمارة زوينة ، لونيسي إبراهيم : **الحاكم العام الفرنسي في الجزائر الجنرال بيجو وأثر سياسته على الجزائريين ، 1841–1847** ، مجلة الإحياء، المجلد 22 :، العدد 30 :، جانفي 2022، ص ، 1023.

[2] – Hildebert Isnard : **IV. Vigne et colonisation en Algérie (1880–1947)** , Annales Année/ 1947 / 2–3 /p,292 .

[3] – جيلالي –صاري : **تجريد الفلاحين من أ راضيهم 1830 – 1962** ، منشورا ت المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر، 2010، 57.

عشر بسبب الفيلوكسيرا، وارتفاع الطلب على النبيذ خلال الحرب العالمية الأولى لتزويد الجنود بـ «البينار»، بمواجهة هذه الإنتاجية الزائدة. [1]

يمكن تفسير مثل هذا القانون بالمنافسة التي فرضها النبيذ الجزائري على المنتجين الفرنسيين. كما ذُكر سابقًا، كان النبيذ الجزائري يتمتع بالوصول إلى السوق الفرنسية دون رسوم جمركية، ويستفيد من إنتاجية عالية ونمو ديناميكي. ومن الجدير بالذكر أيضًا أن إنتاج النبيذ الجزائري كان متنوعًا نسبيًا. ففي عام 1900، شكّل النبيذ الطازج 50٪ من الإنتاج الكلي، والنبيذ الممتاز من المزارع 30٪، بينما كانت النسبة المتبقية 20٪ مخصّصة للمزج بهدف زيادة نسبة الكحول في بعض أنواع النبيذ، خاصة في منطقة لانغدوك. وقد فسّرت هذه التنوّع والمزايا التي تميز بها النبيذ الجزائري رغبة منتجي النبيذ الفرنسيين في الحد من المنافسة الجزائرية.

- **تأثير غراسة الكروم على النشاطات الزراعية والرعويه**

ان دراسة تأثيرات غرس الفرنسيين لأشجار الكروم في الجزائر على الأنشطة الفلاحية هي حقا تأثيرات كبيرة ويمكن حصرها في ما يلي :

- **على النشاط الزراعي :**

لقد كانت زراعة الحبوب من الزراعات الأوسع من حيث الإنتشار في الجزائر لأنها الزراعة المعاشية ، الا أن الإدارة الفرنسية أساءت لها بحكم إهتماماتها بالمنتوجات التجارية او الصناعية ومنها انتاج الخمولا ، وأشرنا سابقا الى أدخال الفرنسيين لأشجار الكروم وغرسها في الجزائر على حساب المساحات المنتجة للحبوب وكذلك اسبدالها بالأشجار المنتجة للعنب الابيض او عنب المائدة . [2]

---

[1] – سيدي صالح حياة، **البرلمان الفرنسي والشأن الجزائري 1871 م 1914 م**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر،2 ، .2018 ،2019 ،ص، 216.

[2] – بوضرساية بوعزّة: **سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830\1930 وانعكاساتها على المغرب العربي**، دار الحكمة للنشر، الج ا زئر،2010 ، ص، 108

إن هذة التوجيه الجديد للمنتوج الفلاحي في الجزائر ادى الى تحويل ما يقار 450000 هكتار الى احتضان الاشجار الفرنسيه وهي من أخصب الاراصي والتي كانت منتجة للمنتحات الفلاحيه ، ما أدى الى تراجع نصيب الفرد من الحبوب اذا ما قورن بين فترة ما قبل غرس اشجار الكروم وبعدها . [1]

والدليل على ما سبقت الأشارة اليه هو ان الإدارة الفرنسية واصلت سياستها في غؤس اشجار الكروم المنتجة للعنب الاسود مما أدى الى إستغلال مساحة قدرت سنة 1904 بحوالي 1930000 هكتار وما بقي للحبوب نسبة لا تتعدى 20% من الأراضي الصالحة للزراعه . [2]

لقد كان انعكاسها سواء على الأراضي الزراعة أو على انتاج الحبوب إنعكاسا سلبيا ، ما جعل إنتاج الحبوب ينحصر في فالأراضي الفلاحية المتواجدة على سفوح الجبال بعد ما كانت في السابق قائمة على السهول والأحواض الغنية والتي أصبحت تملك من طرف المستوطنين وهمهم الوحيد في المجال الفلاخي الربح السريع (اي الزراعة التجاريه). [3]

- **على حساب الرعي وتربية المواشي**

لقد عادت هذه الضاهرة البيئية التي شهدتها فرنسا وبعض الدول الأوروبية بالسلب على النشاط الرعي في الجزائر والذي في طبيعته يتطلب الأراضي ذات الرتابة والسهلة ، فبفعل السياسة الفرنسية ضاقت الأراضي التي كانت سابقا مجالا واسعا للرعي وإنحصر هذا التشاط في المناطق الجبليه وعلى سفوحها ، واصبحت المواشي تعيش معاناة كبيرة بسبب نقص حتى المياه هذا إضافة إلى التأثير السلبي الذي ألحقته زراعة الكروم على نمو الزراعات المعاشية للجزائريين فقد انعكس الأمر تلقائيا على نمو تربية الماشية التي ما أدى الى تناقص أعداد رؤوس الأغنام . [4]

فبعد ما كان عددها عددها عام 1867 م حوالي 8 مليون رأس تراجع عددها سنة 1900 الى 3600000 راس وقد مس هذا التراجع حتى رؤوس الأبقار وهو ما أ كده شارل روبير أجيرون قائلا :إذ أ

---

[1] – صليحة علامة، **الأحوال الصحية بالجزائر خلال الاحتلال الفرنسي من 1830 م 1952 م** ،عمالة الجزائر نموذجا، دراسة تاريخية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 2016، 2017 ص 82 .

[2] – Agron charles robert, politiques coloniales au maghreb Ed.P.M.F. PARIS.P24.

[3] - .حياة سيدي صالح، المرجع السابق، ص 226

[4] - الجيلالي صاري ، **تجريد الفلاحين من أراضيهم، المرجع السابق ، ص، 171.**

ن الأبقار كان عددها يقدر بأكثر من مليون رأس بين 1867 م و 1887 م و 1071469 رأس ، من 1890 م إلى 1894 م . لم تكن تبلغ إلا 930000 رأس في المتوسط من 1895 الى 1899، ان السبب في ذلك إتساع الزراعة الأوروبية التجارية الصناعية . [1]

والنتيجة ان زراعة الكروم قضت على زراعة الحبوب وتربية المواشي والغابات و أ ن زراعة الكروم هامة بالنسبة للمستوطنين لما فيها من أرباح كبيرة لذلك خصصت لها مساحات أوسع من المساحات التي خصصت للزراعات الأخرى . [2]

- **الاجتماعية والدينية**

ان إستغلال الاوروبيين لأخصب الأراضي عاد سلبا على النشاط الفلاحي للجزائريين امام سنوات من الجفاف فإنكمشت الأراضي التي كانت مخصصة لإنتاج الحبوب فتدهرت الأوضاع الإجتماعية وإنتشرت المجاعات وعم الفقر في اوساط الجزائريين ما تسبب قس انتشار الأمراض ، وبعد قيام الجمهورية الفرنسية الثالثة إشتد الإهتمام الفرنسي والأوروبي بغرس أشجار الكروم في الجزائر ،[3] كما ساهم في تفشي عادات وسلوكيات غريبة على المجتمع الجزائري الذي تتنافي والدين الإسلامي ، فإنشر شاربوا الخمر وبدأ الإنحلال الأخلاقي ، وأصبح الخمر يعتبرونه من مظاهر الرجولة ، وهي سياسة سعت الإدارة الفرنسية الى توسيعها [4]

4 .أسباب تمركز غرس أشجار العنب الأسود في الإقليم الوهراني

شجعت الإدارة الفرنسية غرس أشجار الكروم في الإقليم الوهراني في عمالة وهران لوحدها 1.020.39هكتار، يرجع هذا الإهتمام بالإقلبم الوهراني الى العوامل الطبيعية والبشرية ورغبة الإدارة الفرنسية في تشجيع الكولون وإغرائهم على البقاء بشكل دائم في الجزائر وبالأخص في الإقليم الوهراني ،

---

[1] – .أجيرون، **تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة....**، ج 2 ،المرجع السابق، ص349

[2] - .ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق،ص،41

[3]– عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 9199** ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي 1882 ، ص239

[4] – Alessandro Stanziani,<< la falsification du vin en France, 1880– 1905 : un cas de fraude agro – alimentaire>> revue d' histoire moderne et contemparaine 2003 /2(n0 050–2), p.154 – 186.

وتقديم الدعم المادي لهم ومنحهم القروضً وهو الأمر الذي دفع بالمعمرين الى ممارسة زراعة ذات طابع التجاري كالكروم . وقد ساهم كل من البك الليوني وبنك الجزائر انذاك في دعم المستوطنين بالقروض.

بلدية" حاسي مماش rivoli "، حيث تبين إحصائيات سنة 1929 . [1]

التوزيع	عدد الغارسين	المساحة المغروسة	الانتاج
أوروبيون	90	69 هكتار	472 هكل
جزائريون	40	32 هكتار	140 هكل

كذلك إحصائيات عن بلدية" **بن سكرا** " من 1924 إلى 1927 وذلك في الجدول التالي . [2]

السنوات	1924	1925	1926	1927
المساحة المستغلة	258 هكتار	296 هكتار	408 هكتار	431 هكتار
الإنتاج	8729 هكل	12782 هكل	11189 هكل	13658 هكل

تعتبر منطقة سيدي بلعباس إحدى المناطق التى تعرضت بشدة السياسة الاستيطانية الزراعية، حيث تواجدت بها أكبر كثافة سكانية أوروبية في الجزائر و بحث مستوطنوا هذه المنطقة عن نظام زراعي يمكن من خلاله الحصول على ثراء فتوصلوا إلى الاعتماد على منتجين :الحبوب والكروم. ولقد عرف هذا الأخير اهتمام من قبل المستوطنين في سنة 1858 خاصة بمنطقة هو السيد" **باستيي**bastide "

اما في معسكر فقد اشتهرت هضابها المشرفة على سهل غريس بأنواع الكروم الخاصة بالخمور وكانت تكسو جميع التلال الغربية والشمالية التي يزيد ارتفاعها عن 600 م عن سطح البحر ، فالكروم كان الحافز الأول للمشروع الاستعماري ،والتي اشتهرت بها منطقة معسكر، فقد بلغ إنتاجها من الخمور 11306هكل . [3]

5 ردود فعل الأهالي

لقد كان الجزائريون وبالرغم من المحاولات الفرنسية لإبعاد الجزائريين عن دبنهم وعاداتهم وتقاليدم الا انهم قاوموا كل هذه السياسات وقاموا بحروب متقطعة ضد مزارع الكولون ونظمت الثورات والانتفاضات

[1] – عدة بن داهة : **معسكر عرب التاريخ**، دار الخلدونية، الجزائر، 2005.،ص,247.

[2] – Dejardins (v), une colonie algricole revoli 1848,in revue S.G.A.O,1934, p141.

[3] – مصطفى حجازي ، **الإستيطان ألوروبي وزراعة الكروم في منطقة سيدي بلعباس،)1870-1954**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد،10، 2015ص.106

ضد حقول الفرنسيين وحرقوا ا لمزارع وقاموا بقطع الأشجار وتخريبهم للعتاد الفلاحي إلى حد قتلهم لبعض من المستوطنين (الكولون). [1]

إن زراعة الكروم الخصة بانتاج العنب الأسود المخصص صناعة الخمور مع علما ان هذا النوع من المنتوج الذي قام على حساب العنب الابيض والحبوب يتنافى تماما مع ديننا وعاداتنا واقتصادنا ، وكانت اولى المقاومات الرافضة لزراعة الكروم الفرنسية مقاومة الأمير عبد القادر . [2]

من أمثل هذه المواجهة كالتي حدثت في محافظة عين تموشنت ، ثورة المقراني الذي استطاع أن يتحالف مع الطبقات الفلاحية الشعبية المحرومة فكانت ثورته ثورة فلاحية جارفة ، اضف الى ذلك ثورة في 1879 م بزعامة الشيخ أمزيان الثورة في 30 ماي 1879 م وانتهت في 1880 م. [3]

مع تردي الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية هاجر الجزائريون قاصدين البلدان باحثين عن العمل ولقمة العيش ، أمام هذه الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المزرية للسكان اضطر العمال إلى الهجرة من الريف إلى المدن الكبرى الداخلية بحثا عن العمل . ولم تقتصر هجرة الجزائريين على الهجرة من الأرياف إلى المدن بل امتدت إلى الهجرة نحو الخارج، فقد عرفت سنوات 1875 – 1888 – 1889 . [4]

---

[1] – عدة بن داهة : **الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للج زائر1630\1962م**، ج2 ، ط 2، دار المؤلفات للنشر والتوزيع، الجزائر2013، ص، 190

[2] – نفسه : ص ، 191

[3] – نفسه : ص، 193

[4] – عبد القادر صحراوي، **الجزائريون والرحلة إلى الحجاز،خلال عهد الاستعمار الفرنسي ، ع 7**،جامعة الجيلالي اليابس، د س، ص 171

الحاتمة

كانت صناعة النبيذ في الجزائر مشروعًا زراعيًا وسياسيًا بالغ التأثير في تاريخ المستعمرة. فبفضل نمو سريع ناجم عن أزمة الفيلوكسيرا ووجود منظومة مؤسسية مواتية، سمحت زراعة الكروم بتطوير مستعمرة استيطانية مع تشكيل الأرض وفقًا لصورة المستعمِر.

وكان نمو صناعة النبيذ قويًا إلى درجة أنه زعزع علاقة التبعية الاقتصادية التي ربطت فرنسا بالجزائر، إذ أصبحت المستعمرة تحقق فائضًا كبيرًا في هذا المجال، مما أربك السوق الفرنسية ودعا إلى تدخل تشريعي صارم.

ومع ذلك، أدت هذه التنظيمات الجديدة إلى خلق بيئة اقتصادية وسياسية أكثر لا مساواة بين كبار الملاك واليد العاملة التي ازدادت فقرًا، وهو ما غذّى المطالب الاستقلالية. خلال حرب الاستقلال الجزائرية، أصبحت مزارع الكروم هدفًا رئيسيًا للهجمات، وذلك لأسباب اقتصادية ورمزية على حد سوهكذا، من عام 1871 إلى 1962، واكبت صناعة النبيذ في الجزائر المسار السياسي للجزائر الفرنسية وأسهمت في تشكيله، منتقلةً من رمز للاستعمار إلى رمز لإزالة الاستعماواء.

إلى جانب هذا المشروع الكرومي الأوروبي الذي استمر قرابة قرن في الجزائر، تبدو مسيرة مزارع الكروم بعد استقلال الجزائر جديرة بالدراسة، خاصة في ظل انخفاض الطلب على النبيذ، وهجرة الجزء الأكبر من اليد العاملة المؤهلة إلى أوروبا، وسوء إدارة سوق النبيذ من قبل السلطة الجزائرية الجديدة، مما جعله غير منتج.